المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد السيد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

وفيه تاريخ اعمال الرسل بعد السيد المسيح وتفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وتفرقهم بعد ذلك في المسكونة لنشر ديانتهم الجديدة . وبتخلل ذلك وصف حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتت الاسرائيليين وسقوط الدولة الرومانية . ولا خلاف في ان تاريخ هذه الحركة انما هو تاريخ اعظم حركة اجتماعية وسياسية حدثت في العالم

عودة الرسل الى الجليل بعد صلب السيد

اول ما يقصده كل من فقد عزيزاً كريماً زيارة الاماكن التي عاش فيها معه . ولذلك اتجه التلامذة نحو الجليل بعد عيد الفصح ببضعة ايام (١) فكأنّ الديانة المسيحية عادت في هذا الوقت مع التلامذة الى الارض التي نبتت فيها لتودعها هنيهة ثم تعود فتنتشر في الكرة الارضية

وهكذا التقى مرة ثانية اخص تلامذة السيد وهم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبده على شاطىء بحيرة طبرية وعاشوا معاً وعادوا الى صناعة صيد السمك في بيت صيدا وكفر ناحوم كما كانوا من قبل . وقد عادت النسوة الجليليات الى الجليل معهم . بل هنّ اللواتي حملنهم على هذه العودة ليلهن الى الوطن الاول الذي شاهدن فيه ما شاهدن من الحوادث الجميلة . وهذا آخر عمل عملنه في تاسيس الديانة المسيحية . ومنذ هذا الحين لم يعد يظهر

(١) وهناك سبب آخر وهو ما جاء في الانجيل من ان السيد سبق التلامذة الى الجليل

لهنّ اثر في تاريخ المسيحية لانهنّ كرهن مفارقة تلك البلاد التي دفن فيها اعظم المسرات. وهكذا وُضع ذكرهن منذ ذلك الحين في زاوية النسيان . وبما ان المسيحية في بلاد الجليل لم تقم لها بعد ذلك قائمة فقد نقصت اهمية هؤلاء النسوة اللواتي كان لهنّ الفضل العظيم في تاسيس الديانة المسيحية وفني ذكرهن في بعض التقاليد . وبناء عليه لم تبقَ مريم المجدلية ومريم كليوفاس وحنه وسوسان — هؤلاء الجليليات اللواتي يجب ان يُعتبرن المؤسسات الحقيقيات للدين المسيحي — الا كقديسات صغيرات لا شان لهن . فان القديس بولس لا يعرفهن (١) وقد بقين هكذا حتى القرون المتوسطة . فيومئذ استرددن المنزلة التي لهن وصار لمريم المجدلية في سماء المسيحية ذلك المقام الرفيع الذي كان من حقها

وكان التلامذة يعيشون يومئذ في الجليل كاخوة وقد اجتمع حولهم نحو خمس مئة نفس من الجليليين الذين كانوا عرفوا السيد وانجذبوا الى تعليمه . فاقاموا في تلك البلاد نحو سنة وهم يعيشون اجمل عيشة لان روح السيد كانت ترفرف عليهم وتظهر لهم . فكانت حياتهم هذه عبارة عن تصورات جميلة دائمة لا تحول ولا تزول

عودتهم الى اورشليم لانشاء الكنيسة الاولى

وبعد اقامة الرسل سنة في بلاد الجليل كما تقدم راموا العودة الى اورشليم لان السيد امرهم بان ينتشروا في الارض للبشارة بالكلمة في جميع الاقطار . وكانت اورشليم اول هذه الاقطار بالطبع . فساروا اليها وهجروا وطنهم الجليل هجرة لا رجوع بعدها اليه . ولا خلاف في انه قد بقي بعد ذلك في الجليل كثيرون من اتباع الرسل ولكن لم يرد لهم ذكر فيما بعد . فغير بعيد ان يكونوا قد فنيت آثارهم في تلك البلاد كما فني فيها كل شيء في الحرب التي اثارها فيها اسباسيانوس الروماني . ومن المعلوم ان الطوائف التي كانت تعيش في تلك البلاد قد لجأت بعد هذه الحرب الى ما وراء نهر الاردن . فلما سكنت رحى هذه الحرب امتنع المسيحيون من العودة اليها وعاد اليها اليهود فقط . وهكذا صارت

---

(١) قال الرسول بولس عن السيد المسيح في الاصحاح ١٥ العدد ٥ من رسالته الى كورنثوس « انه ظهر لصفا ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمس مئة اخ » وبذلك اغفل الرسول ذكر مريم المجدلية وباقي النسوة اللواتي جاء في الانجيل انهن كن اول من شاهدنه . وهو اجحاف بحقوق النساء

الجليل في القرن الثاني والثالث والرابع عبارة عن مركز اليهودية ووطن التلمود . وبناء على ذلك لم تدخل الجليل في تاريخ الديانة المسيحية الا زمناً محدوداً . ولكن هذا الزمن كان اقدس الازمان واعظمها . ذلك لان جمال الدين المسيحي وقوته وسناءه اعني « الانجيل » لم تبرز الى الوجود الا في هذا الزمن . فالانجيل اذاً من اصل جليلي . وسيرد الكلام على ان الانجيل كان السبب الاول في نجاح الديانة المسيحية في الماضي وسيكون الضمانة الوثيقة لها في الزمن الآتي

الصعود

وبعد اجتماع التلامذة في اورشليم شهدوا صعود السيد . وقد قال لوقا الانجيلي في ذلك « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم »

اما نحن فاننا نفارق السيد بحزن عظيم . نفارقه هنا ونودعه لنذكر تاريخ تلامذته . ولقد كان في حياته الثانية هذه جمال وسناء يعزي النفس ويجعلها تشعر بقربها من ذلك الذي كان مثالاً للجمال والسناء وان كانت هذه الحياة انما هي في الحقيقة صورة للاولى . وحزننا الآن عظيم لاننا حُرمنا ذلك العرف الطيب الذي كان ينتشر من شخصه ونفسه . لقد صعد على الغمامة الى يمين ابيه وتركنا مع جماعة من البشر لهم كل صفات البشر . فما اصعب هذا السقوط . وما اشد البعد بين امس واليوم . يا ايتها السماء لقد ذهب مُلك الجمال والسناء فاندبي هذا المُلك المفقود . انظري لقد انزوت مريم المجدلية في قريتها لتدفن فيها تذكاراتها الجميلة . لقد بطلت الخطب على الجبل وبطل شفاء المجانين ومداواة المرضى . لقد ذهب مؤسس ديانة الحق والروح . وسيكون تاريخ هذه الديانة بعده تاريخاً لابتعاد اهلها عن المبادىء الابدية الازلية التي وضعها مؤسسها فيها . ومع ذلك فان هذا التاريخ مهما طرا عليه فانه يبقى تسبيحاً عظيماً لمجد ذلك المؤسس العظيم . ذلك لان صورة هذا الابن الصالح وكلامه الحي سيبقيان في وسط صغائر الامور وهناتها بمنزلة صورة للكمال الرفيع الذي لا يبلغ طرف الانسان حده

التلامذة والعمل

وكان يومئذ عدد التلامذة واتباعهم في اورشليم نحو مئة و٢٠ شخصاً . وكانوا كثيري

النقوى وانما كانت نقواهم شبيهة بنقوى اليهود . وكانوا يصلون و يقدمون العبادة في كل يوم في هيكل اليهود نفسه . وكانوا يشتغلون بشغل صناعي ليعيشوا من ثمار شغلهم . وكان في يد كل واحد منهم صناعة خصوصية ولكن هذه الصناعة لم تكن تحول بينهم و بين فراغ الوقت والاستنارة فيه . ذلك لان الشغل القليل كان كافياً لسد حاجات كل واحد منهم كما هي الحالة في الشرق ولذلك كان يبقى لهم كثير من الفراغ في اوقاتهم خلافاً للعملة الاوربيين الذين يعملون ١٢ او ١٥ ساعة في كل يوم

و بناء عليه كان التلامذة واتباعها يشتغلون في قسم من الوقت و يجعلون قسماً منه للتامل والبحث والصلاة واثارة الهوى الروحاني في نفوسهم . وكان هذا الهوى قد بلغ فيهم يومئذ اشده . وكل من قرأ « حروب اليهود » التي كتبها يوسيفوس يجد فيها ان كل واحد من الشعب الاسرائيلي كان يومئذ يطيع كالاعمى كل ما يقوم في نفسه و يستولي عليه من العواطف والافكار . فتخاله حين الحدة مجنوناً حقيقاً

اللغات والانجيل وتعميم الصلاح

اما مسالة تعدد اللغات ومعرفة المرسل بها كلها في يوم الروح القدس فربما كان فيها فكر يحتاج الى نظر . ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعتبرون لغتهم « لغة مقدسة » وكانوا يحفظونها اشد حفظ . واذا تُرجمت التوراة منها الى لغة غريبة لم يعبئوا بالترجمة حتى ولو تصرف بها صاحبها كما كان يقع ذلك احياناً وانما كانوا يصونون اصلها العبراني اشد صيانة . ولكن هذا الامر كان مقصوراً على يهود فلسطين وسوريا فقط . اما يهود مصر واليونانيون الذين اعتنقوا اليهودية في فلسطين فانهم كانوا يصلّون باللغة اليونانية و يطالعون التوراة بها ايضاً . ومع ذلك فانهم لم يصلوا في التسامح والتساهل الى الحد الذي وصل اليه المسيحيون يومئذ . فانه كان مشهوراً بين اليهود ان المسيح اذا جاء فانه يجمع كل لغات العالم كناية عن جمع كلمتهم والتوفيق بينهم . وهذا سبب انفصال المسيحيين الاولين عن اخوانهم اليهود في هذه المسالة وعدم اقتصارهم على اللغة العبرانية . بل هنالك سبب آخر . وهو معرفتهم ان الانجيل لم يُرسل الى شعب واحد بل الى جميع الشعوب والامم . ولذلك كانوا يقولون انه اذا تُرجم من اي لغة الى اي لغة اخرى كانت الترجمة طبقاً للاصل لسهولة مبادئه وقواعده . وهذه هي الخطوة الاولى التي خطاها العالم لتعميم الفضائل ومبادي الهدوء والسلام والامن بين امه المختلفة

التحمس والتقشف وقوله في الشرقيين ·

ولقد ذكرنا فيما تقدم ان التلامذة كانوا يعيشون معاً باخاء تام · ونزيد الآن على الاخاء مسالة التجرد والتقشف والصلاة والبكاء · اما التجرد فنريد به ما يقصده المتصوفة وهو هنا تحمس النفس الى درجة تتجاوز حدود الطبيعة حتى انها قد تخال نفسها انها طرحت الجسم جانباً وتجردت منه لتطلب المصدر الاعلى الذي صدرت عنه · وفي هذه الحالة التي يبلغ فيها التحمس اشده ينطق الانسان باقوال مختلفة بعضها ذو معنى و بعضها لا معنى له في الظاهر · واما التقشف فالمراد به الصوم والاقتصار على القليل الضروري من الطعام لان الغرض قيام الجسم فقط · والغرض المقصود من التقشف مساعدة النفس على البقاء على حالة التحمس والتجرد التي تقدم ذكرها لان ذلك من خواص قلة الاكل · وقلة الاكل عادة شائعة عند اكثر الشرقيين (كذا) · واذا كانت قناعة السوري فيما يختص بالماكل سبباً من اسباب ضعفه الطبيعي (كذا) فهي ايضاً سبب في جعله في هياج وانفعال عصبي دائم · ولا ريب اننا نحن معاشر الاوربيين لا نستطيع ان نعمل اعمالنا العقلية الدائمة اذا كانت مقرونة بهذه القناعة فيما يختص بالماكل لان العمل الكثير يقتضي الغذاء الكثير · على ان هذا الضعف الظاهر في دماغ الشرقي وعضلاته من شانه ان يثير في نفسه دائماً عواطف الحزن والفرح على التتابع · وهذه العواطف تجعله متجهاً دائماً الى الله ومتصلاً به · وهذا ما كانوا يسمونه « الحزن السماوي » و يعتبرونه موهبة من السماء

البكاء صلاة

و بناء على ذلك فان المواهب السامية التي كانت للاولين انما هي عبارة عن اكرم عواطف النفس واجمل حركاتها كالمحبة والتقوى والخوف باحترام والتنهد والحزن الفجائي من غير سبب والحنو وكل ما يقوم في نفس الانسان من خير وصلاح وجمال · وكانت الدموع ايضاً موهبة ونعمة سامية · وهي في الحقيقة موهبة لانها خاصة بالنفوس الممتازة المطبوعة على الطهارة والصلاح · وكانت هذه العادة عادة البكاء كثيرة الوقوع بينهم في ذلك الزمن · وكان اصحابها وخصوصاً النساء يجدون فيها تعزية وفرجاً · بل ان هذه العادة كانت للنساء بمنزلة الصلاة للرجال اي انها كانت صلاة النساء · فيومئذ تحقق ما قيل من انهم كانوا يزرعون بكاء ويحصدون فرحاً · وعلى ذلك صار البكاء عبارة عن عمل من اعمال التقوى · واذا كان احد منهم لا يقدر على الوعظ ولا النطق باللغات المختلفة ولا صنع العجائب فانه كان

يجعل البكاء شانه . وبناء عليه فانهم كانوا يبكون في الصلاة والوعظ والتعليم . وكان السلطان يومئذ سلطان الدموع . فكأن النفوس امتزجت يومئذ امتزاجاً شديداً ولما لم تجد لغة تعبّر بها عما في نفسها من العواطف الغريبة ذابت وسالت من المحاجر فكانت دموعها لغة عامة جديدة

الاشتراكية في المسيحية

وكان التلامذة واتباعهم يسكنون حياً واحداً في اورشليم . ولم يكن احد منهم يملك شيئاً بل كانوا كلهم يبيعون ما يملكونه و يدفعون ثمنه الى صندوق الطائفة . وكان رؤساء هذه الطائفة اي التلامذه الرسل يوزعون عليها من المال المشترك كل على قدر حاجته . وكانوا يتناولون الطعام جماعة واحدة اي في مكان واحد و يعملون على المائدة الحركة الرمزية التي عملها السيد في العشاء السري . وكانوا يصرفون ساعات عديدة في الصلاة وكانوا احياناً يرتجلون الصلاة ارتجالاً بصوت جهوري واحياناً كانوا يستعدون لها . وكان الوفاق تاماً بينهم وكلهم يعيشون بقلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن للجدال الدهني ولا للتفاضل قط مجال الدخول اليهم . ذلك لان تذكار السيد كان لا يزال جديداً في نفوسهم فكانت صورته تطرد منها كل خلاف ونزاع . وهكذا صرفت الطائفة المسيحية على هذا النمط سنتين او ثلاثاً كانت معيشتها فيها عبارة عن فردوس ارضي تطلبه المسيحية منذ قرون كثيرة فلا تجده وليس لها رجوع اليه . وهذه المعيشة المشتركة لم تتجدد بعد الطائفة الاولى الا في الديور على ايدي النساك والرهبان

ومنهم من يعترض على هذا الاشتراك بقوله انه لم يحدث في زمن الطائفة الاولى بل ان كاتب « اعمال الرسل » قد بالغ فيه لانه من انصار الابيونيين اي حزب الفقر والفقراء في الدين المسيحي . ولكن هذا القول مردود بان الوثنيين كانوا يعتبرون الطوائف المسيحية حتى بعد نشأتها بقرنين طوائف اشتراكية كما روى لوسيانوس . واذا كان في ذلك شيء من المبالغة فما لا ريب فيه انه كان في اورشليم في الازمنة الاولى طائفة عديدة من الفقراء المسيحيين يدبر الرسل شؤونهم وتاتيهم الاعانات من جميع الاقطار التي انتشرت فيها الديانة المسيحية . وقد اقتضت ادارة هذه الطائفة شيئاً من الصرامة ولذلك كان يقال ان كل واحد يخفي من ماله شيئاً عن الطائفة فجزاؤه عقاب الموت من الله

التلامذة في الهيكل

وكان التلامذة يجتمعون في النهار في اروقة الهيكل وخصوصاً في رواق سليمان. فكانوا يجدون هنالك تذكار الايام التي صرفها السيد معهم في ذلك المكان . وكانت اروقة الهيكل محطاً لرحال كثير من النحل واصحاب المذاهب اليهودية المختلفة . فكان التلامذة يفدون على الهيكل معهم ويقيمون بجانبهم . وكان الشعب يحبهم لبساطتهم وتقواهم ووداعتهم. ولكن اكابر رجال الهيكل كانوا يكرهونهم . وكان التلامذة يصلون يومئذ مع اليهود في الاوقات المعينة ويحفظون كل قواعد الناموس. فكان شانهم شان اليهود ولم يكونوا يختلفون عنهم الا باعتقادهم ان المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه قد جاء الى العالم. ولم يكن الانضمام اليهم خرقاً للشريعة اليهودية في نظر اليهود بل كان المنضم اليهم يومئذ يجوز ان يحسب نفسه يهودياً . وبالجملة فان الطائفة لم تكن قد ظهرت بعد ولم يكن لها شيء من الاهمية

الديموقراطية والاريستوقراتية في الكنيسة

وكان للتلامذة الذين اختارهم السيد سلطة عظيمة على الطائفة. فلما اطمأن بالهم في اورشليم خطر لهم اكمال عددهم وذلك بانتخاب تلميذ مكان يهوذا الاسخريوطي الذي كان قد ترك الطائفة . وقد جعلوا الانتخاب سرياً بالقرعة . وكان المرشح له رجلين واحد يُدعى يوسف برسابا والثاني متيا. فاصابت القرعة متيا فانضم الى الاحد عشر تلميذاً . وكان هذا الانتخاب آخر انتخاب جرى للتلامذة لانهم اعتبروا ان اختيار الناس وارسالهم للبشر مزية خص بها يسوع الرسل الاولين دون سواهم . وبذلك ابعد التلامذة عن الطائفة خطراً وقعت فيه بعد ذلك وهو قيام طبقة دائمة السلطة شديدة الوطاة تحوّل مبادىء الطائفة الديموقراطية الى مبادىء ارستوقراتية

ولم يكن يومئذ قد نشاء في الطائفة ذلك الامتياز الاكليريكي الذي وُضع اساسه بعد ذلك. نعم ان الرسول بولس يسمي الرسل في بعض رسائله « اعمدة كنيسة اورشليم » ولكن هذه التسمية كانت في القول لا في الفعل . ولقد تقدم الكلام في تاريخ المسيح ان مبداء العزوبة قد وُضع في حياة السيد ومع ذلك فقد كان بطرس وفيليبوس متزوجين وكان لهما بنون وبنات . وكان اجتماعهم يُدعى في اللغة العبرانية « كاهال » وقد ترجموها

باللغة اليونانية « اكليزيا » ومعنى اكليزيا دعوة الشعب الى الاجتماع كما كان ذلك يقع في المدن اليونانية القديمة . ومن ذلك يظهر ان الكلمات الديموقراطية التي وضعتها اثينا في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد المسيحي قد دخلت في ذلك الزمن في اللغة اليونانية وصارت مشتركة بين جميع الامم التي تتكلم هذه اللغة . ولما قامت المسيحية اخذت منها كثيرًا من ذلك . وفي الحقيقة ان المسيحية انما هي عبارة عن حركة شعبية فيها السلطة للشعب كما كانت الحال في اثينا . ومن جملة ما اخذته المسيحية عن الديموقراطية اليونانية القديمة مسالة الانتخاب بالاقتراع السري وهي الطريقة التي كانت متبعة في جمهورية اثينا . ولكن المسيحية كانت اكثر تسامحًا من الهيئات الاجتماعية القديمة من حيث بذل سلطتها لرجال منها يديرون شؤونها من غير حسد ولا سوء ظن . ذلك ان الكنيسة كانت تعتبر رؤساءها بالطبع حكامًا من قِبل الله ولذلك لا عجب اذا استسلمت اليهم والقت سلطتها بين ايديهم . وبناء عليه كان سهلاً على الناقد البصير ان يرى منذ ذلك الزمن مجيء الوقت الذي تتحول فيه الديموقراطية المسيحية الى هيئة فيها السلطة محصورة بين جماعات وايدٍ قليلة

التلامذة والنسوة

وكان لبطرس بين التلامذة شيء من الامتياز والتقدم سببه غيرته ونشاطه . وكان في هذه السنوات الاولى مرافقًا على الدوام يوحنا بن زبده فكانا يسيران معًا دائمًا . وكان اتفاقهما هذا الاتفاق بمثابة اساس الايمان الجديد والطائفة الجديدة . اما يعقوب اخو السيد فقد كانت سلطته مساوية لسلطتهما وخصوصًا في احد اجزاء الكنيسة . واما بعض انصار السيد الآخرين كالنساء الجليليات وعائلة بيت عنيا فلم يرد لهم ذكر في هذا الزمن . اما هؤلاء النسوة فقد كنّ منزويات في اماكنهن ينتظرن مع المنتظرين قدوم ملكوت الله ويذكرن الزمن الماضي . ولذلك لم يكن لهن همٌّ في التاسيس والانشاء . ولما توفاهن الله اليه نزل معهن الى اللحد اجمل شيء في تاريخ الديانة المسيحية الجديدة . ولكن لم يدرِ بهنّ احد ولا كان لهن شيء من الاهمية بالنسبة الى التلامذة في اورشليم . ذلك لان الشهرة لا تكون الا للعاملين . اما الذين يكتفون بالجلوس في زاوية والحب فيها بسكوت وهدوء فانهم يبقون خاملين مجهولين . ولكن لا ريب في ان لهم افضل نصيب

البقية تاتي

بركان يخرب مدينة ويقتل سكانها

﴿ في دقيقة واحدة ﴾

(والاقوال العلمية المتعددة في اسباب هيجان البراكين)

بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية جزائر متعددة يسمونها « ارخبيل الانتيل » . وهذه الجزائر منها كبيرة ومنها صغيرة . فالكبيرة هي كوبا التي يعتبرونها درة بحر الانتيل وهايتي والجاماييك وبورتوريكو . والصغيرة اهمها كوادلوب والمرتينيك وباربادوس وتاباكو وسان مرتين وغرناطه ودزيراد وماري غالانت وسنت فنسنت وغيرها . ولقد كانت هذه الجزائر تابعة قديماً للسلطنة الاسبانية الواسعة ثم صار اكثرها الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة

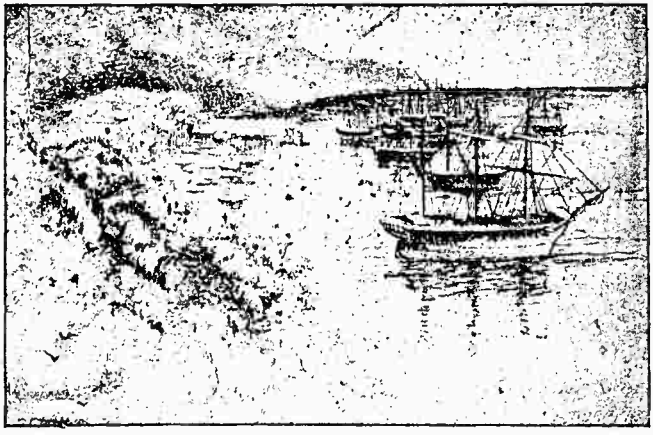

﴿ مدينة كانت بالامس . واليوم كانها لم تكن ﴾

منظر مدينة (سان بيير) بعد ان خربها البركان . والسفن التي اغرقها في ميناها

بحكم الفتح والقوة . والذي يهمنا في هذا الفصل من هذه الجزائر الكبيرة والصغيرة جزيرة المرتينيك الفرنسوية وجزيرة سنت فنسنت الانكليزية لانه حدث في الشهر الماضي فيهما ولا سيما في الاولى منهما حادث مفرد في تاريخ الانسانية

﴿ حادثة مفردة في تاريخ الانسانية ﴾ وان قيل ان البركان يزوف قد ثار في

﴿ خريطة جزيرة المرتينيك الفرنسوية ﴾

موقع مدينة (سان بيير) بجانب المربع المستطيل في غربيها
وموقع البركان في مربع في طرفها الشمالي

ايطاليا في سنة ٧٩ قبل الميلاد وخرب مدينتي بومباي وهركولانيوم وطمرهما تحت رماده وحممه كما فصلت الجامعة ذلك في سنتها الثانية وان حادثة بركان بيله في المرتينيك ليست مفردة في التاريخ قلنا ان بركان يزوف لم يقتل من سكان بومباي حين ثورانه سوى الف نفس وكان تخريبه هذه المدينة وطمره اياها بالرماد في مدة طويلة تسنى للسكان في اثنائها الفرار من الخطر . واما بركان بيله في جزيرة المرتينيك فانه قذف من فوهته على مدينة سان بيير التي هي ثانية مدنها موجة هائلة من الحجارة والوحل والغازات السامة فخرب هذه المدينة كلح البصر وقتل نحو ٤٠ الفاً من سكانها في اقل من دقيقة واحدة . ولم يسلم من جميع السكان الا نفر قليل . ثم ثار عليها مرة اخرى بعد قتل السكان فدرس خرائبها درساً بالحجارة التي قذفها عليها

﴿ منظر بركان بيله من قريب ﴾

﴿ الاسباب العلمية لهيجان البراكين ﴾ ولا حاجة الآن الى تفصيل هذه الحادثة التي ارتعدت لها فرائص الانسانية فقد روت جرائد الاخبار هذا التفصيل . وانما اردنا في هذا الفصل ان نطبع صورة البركان الذي احدث هذا الحدث الهائل مع رسم المدينة التي كانت بالامس عامرة فاصبحت الآن اخربة تحت انقاضها اجسام الوف من السكان الاوربيين والزنوج . ونضم الى ذلك تفصيل الاقوال في اسباب هيجان البراكين

وقبل كل قول نقول ان العلماء لم يتفقوا الى اليوم على هذه الاسباب . ولهم في ذلك ستة آراء او سبعة واليك بيانها

الراي الاول — من المعلوم ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المعادن والحجارة . فيقول بعض علماء الجيولوجيا ان البركان انما هو شبيه بزجاجة من الغاز وزه (المياه الغازية) فاذا انفتحت في داخله ثغرة على المواد المصهورة ثارت هذه المواد بقوة هائلة تطلب سطح الارض كما تثور المياه الغازية في الزجاجة حين فتحها

الراي الثاني — واما غيرهم فيقولون ان المواد المصهورة في باطن الارض غير منتشرة في جميع الاماكن حول قشرة الارض بل هي محصورة في جهات قليلة . وقد يتفق ان تكثر عند هذه المواد الابخرة والغازات المتصاعدة عنها فتفتق سطح الارض وتندفق منه

الراي الثالث — وهنالك راي ثالث وهو ان باطن الارض مصهور اي ذائب وحوله

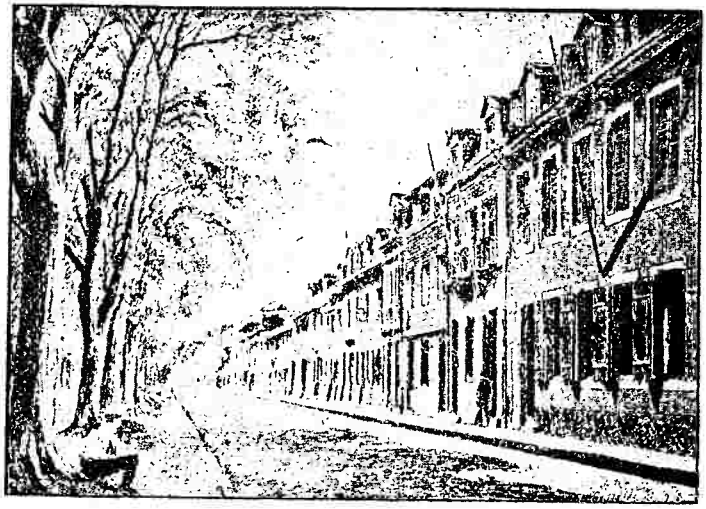

﴿ احد شوارع المدينة قبل خرابها بحجارة البركان ﴾

قشرة تحيط به من كل جانب وهي القشرة التي نعيش فوقها الآن . وبما ان الارض آخذة في البرود شيئاً فشيئاً فكلما برد شيء من جوفها الحامي ومس القشرة الباردة حدث ضغط على ذلك الجوف شبيه بالضغط الذي يحصل من قبض اليد على قطعة من الليمون . وحينئذ ينعصر ذلك الجوف ويخرج منه بقوة العصر ما يخرج من البراكين

الراي الرابع — واما الراي الرابع فهو قولهم ان بعض المواد المصهورة في باطن الارض اذا امتزج بعضها ببعض ثارت بتركيبها الكيماوي ثورة شديدة تفتق الارض وتخرج منها

الراي الخامس — ان المياه التي تجري تحت سطح الارض قريباً منه تدخل احياناً الى جوف الارض فتتبخر هنالك بالحرارة تبخراً شديداً يفجر قشرة الارض كما يفجر البخار المائي الآلة البخارية

الراي السادس — ان باطن الارض مصهور ومواده الذائبة مشتركة بين جميع البراكين . فاذا حدث في الصخور على سطح الارض تغيير يقلب موازنتها حدث ضغط جديد على تلك المواد الباطنية الذائبة فتندفع وتفتق قشرة الارض

الراي السابع — واما الراي السابع فهو ان القمر والشمس يجذبان كرتنا الارضية وينجذبان منها كما هو معلوم . وبما ان باطن الارض ذائب فالمواد الذائبة تطاوع قوة جذب القمر والشمس اي تميل للانجذاب الى جهتهما . وبناء على ذلك يكثر في هذه المواد انتقالها من شكل الى

شكل وذلك مما يؤثر في قشرة الارض التي تحيط بتلك المواد ويجعلها معرضة للانفتاق اذا ظهر اقل ضعف فيها

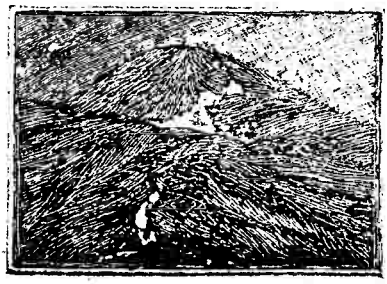

﴿ بركان يزوف ﴾
الذي عاد الى التدخين في هذا الشهر ايضاً

﴿ معرفة الانفجار قبل حدوثه ﴾

هذه هي اقوال علماء الجيولوجيا في اسباب هيجان البراكين . ومما يحسن ذكره هنا ان الارض قد انذرت ابناءها قبل حدوث هذا الحادث فلم ينتبهوا . وقد قيل : من انذر فقد اعذر. وبيان ذلك ان الارض زلزلت في شماخه في القوقاس قبل ثوران بركان بيله باشهر فخربت الزلزلة كثيراً من المنازل . ثم زلزلت منذ مدة في جهات اسبانيا وعلى شواطئ البحر المتوسط . ومن المشهور لدى العلماء انه متى زلزلت ارض اسبانيا تحركت براكين الانتيل لما بينهما من الصلات في جوف الارض . ولا دليل على قرب ثوران البراكين غير هذه الدلائل القياسية

اما بركان جزيرة سنت فنسنت الانكليزية فقد ثار ايضاً ثوران رفيقه في المرتينيك ولكنه لم يقتل سوى الني نفس . وكان بركان يزوف في ايطاليا قد غار في هذا الشهر من رفيقيه فاخذ يدخن ايضاً . وهنا نختم هذا الفصل بما ذكرناه في السنة الاولى في ختام مقالة عن هذا البركان ودفنه في سنة ٧٩ للميلاد ثلاث مدن رومانيات تحت رماده وحممه . وهذا نصه :

« ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الارواح البشرية التي هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحجارة الحامية . نتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . ويتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الرؤوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين . بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواميس احياناً . وما اعدلها احياناً »

الدين والعلم

﴿ ورأي الفيلسوف سبنسر فيهما ﴾

لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

١

تمهيد للمجلة — قبل القاء زمام هذا الموضوع في هذه المقالة الى حضرة صديقنا الباحث الفاضل اسعد افندي باسيلي الذي مرت عليه بضع سنوات في درس الادب والفلسفة ومطالعة كتب العلماء فيهما نود ان نضع تمهيداً وجيزاً لمقالته الاولى في هذا الموضوع ايضاحاً للغرض المقصود منها فنقول — ان رنان في كلامه عن « العدو الحقيقي للعلم والدين » قال كما ورد في العدد السابق (الصفحة ٤٦٢) ما نصه : « نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين . وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم . وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية » . فيؤخذ من هذا القول انه لا عدو للدين والعلم الا من هذين العدوين . وهما : اولاً الذين لا يعتقدون بشيء خارجاً عن دائرة المحسوسات وينكرون الافكار الدينية ويتحاملون على الاديان ويجحدون مبادئها الاساسية التي مدنت الامم ورقت الشعوب . وثانياً بعض رؤساء الاديان الذين يوءذون الاديان بشراهتهم او بجهلهم او بسوء قصدهم او بانفاذ اغراضهم اكثر مما يؤذيها اولئك الماديون الجاحدون

فهنا اذاً على محبي الخير للشعوب واجبان عظيمان . الاول مقاومة هوءلاء الرؤساء الذين لا يقصدون بالرئاسة الا قضاء اغراضهم الدنيوية والهاء الخاصة والعامة بالظواهر الدينية عن المبادىء الدينية الحقيقية . والثاني مقاومة اولئك الماديين الذين يرومون انزال الانسان في منزلة البهائم من حيث انكار كل شيء فيه خرج عن دائرة المادة الدنيئة . ولقد كان غرضنا من نشر كتاب تاريخ السيد المسيح القيام بالواجب الاول . وها نحن ننشر المقالات المتسلسلة التالية قياماً بالواجب الثاني . فهذه المقالات اذاً انما هي موجهة الى الجاحدين لا الى المصدقين . ونحن نشير عليهم بان يطالعوها بامعان ليتحققوا صدق

ما قاله رنان ونشرناه في الجزء الثاني من الجامعة الصفحة ٨٢ وهذا نصه : « ان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من اولئك الماديين الذين يفسرون كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

ونحن نشكر حضرة صديقنا الكاتب لاتحافه الجامعة بهذا البحث الذي ليس افدر منه عليه — والآن نلقي زمام الكلام اليه »

بين رجال الدين وبعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف العقل البشري ابسط النواميس الطبيعية فوضع بذلك حدًا لعبادة الاشياء المحسوسة . والذي يسوء كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين الاولى في الاثبات والثانية في الانكار . فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات اشيائهم وينزلون جميع عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة . فيقابلهم رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتمادون في انكارهم فيجحدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان

وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والاوهام لانه اذا لم يكن من شان النور ان يضع حدًا للظلمة فما يكون شانه يا ترى ؟ الا انه يخطيء كل الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار ويحسبها عارية عن كل اساس

قال الفيلسوف هربرت سبنسر في كتابه المبادىء الاولى ان القول بان جميع الافكار الدينية عارية عن الاساس يحط كثيرًا من قدر العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق

ومن ذا يا ترى يرى رجلاً من نوابغ بني الانسان كافلاطون واريسطو وسان توما وديكارت ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسمًا كبيرًا من مؤلفاتهم في البحث في ما وراء الطبيعة واثبات الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحيكون اوهامًا باوهام ويشيدون على غير اساس . او لا يبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته

ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون

على ذلك ادلة اخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر اشهر فلاسفة الانكليز في هذا الزمان

﴿ وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ﴾ اذا امعنت النظر في تواريخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى انه ما من امة من الامم قديمة او حديثة خلت عن بعض العقائد الدينية ولئن اختلفت تلك العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء . فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة والاتفاق ؟ او ليس من شانه ان يحملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان حيوان دينّ اعني انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخليقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبدُ لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجةً ما من الترقي العقلي . فنجيب ولو صح هذا فلا يفيد شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى نسلم ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية لزم عن هذا ان هذه الافكار تنشاء بالضرورة عن ترقي العقل

وما نراه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على ان عقائد كل امة نشات مستقلة عن عقائد الاخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف واحوال متماثلة مع اختلاف الازمنة والامكنة ادى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة

وزعم آخرون ان جميع ما يذكره لنا تاريخ الاديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتمويه عليهم . وهذا زعم لا يستطاع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتمدنة وغير المتمدنة افراد من الهيئة يتواطئون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي ينالون بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الاولي للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجراثيم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفندون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمنٍ لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطاع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو امكن وجود ادلة تثبت كون الاديان مخترعات عرضيـة فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لانه اذا كانت الاديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا نرى تحت الفروع الدينية المتنوعة اصولاً ومبادىء متماثلة. واذا كانت جميعها اباطيل واوهاماً فلماذا نرى النقد العلمي الذي استطاع اسقاط العقائد الخصوصية لم يتمكن من ضعضعة الفكرة الاساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا نرى العقائد الدينية بعد اذ تسقط سقوطاً عظيماً عند امة كما حدث في اواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث ان تنهض ثانية ان لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل فجوهرها القديم يبقى هو نفسه

﴿ الشعور الديني ﴾ ثم ان هنالك من يزعم ان الافكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يجعل العقل يحيك صوراً وهميـة لا يلبث ان يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهؤلاء يسلمون ضمناً بوجود الشعور الديني اذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الاعظم من بني الانسان وقد كان له اعظم اثر على التمدن في الاعصر التاريخية . وما برح لعهدنا هذا اساس كثير من النظامات الاجتماعية والباعث على كثير من الاعمال العظيمة المفيدة

الا ان زعمهم هذا لا يحل المسئلة وانما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لانه سواء كان الشعور الديني منشاء الفكر الديني او كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بد لنا ان نسال من اين جاءنا هذا الشعور ؟

وجواباً على هذا نجد امامنا احد افتراضين . اما ان يكون هذا الشعور خلق دفعة واحدة بفعل خلق خصوصي واما انه نشاء تدرجاً تبعاً لناموس الارتقاء . فاذا اتبعنا الاول الذي اتبعه الاقدمون وعليه اكثر البشر لعهدنا هذا فالمسالة تكون قد حلت اذ يكون الانسان قد منح الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق اذاً على مقاصد هذا المبدع . وان اتبعنا الافتراض الثاني وسلمنا بما يوجبه مذهب الارتقاء من ان القوى هي نتيجة التحولات العديدة التي طرات على الانسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين ان نسلم بوجود احوال خصوصية اوجبت نشاءة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية . واذا صح ايضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من ان الغاية التي تتوجه اليها التحولات الارتقائية هي اعداد الحي لاستكمال ما هو من لوازم وجوده امكننا ان نستنتج من هذا ان الشعور الديني من البواعث المؤدية لسعادة البشر

اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشاء تبعاً لناموس الارتقاء فالنتيجة من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني

﴿ اتجاه العقل الى ما وراء حدود العلم ﴾ وهنالك ملاحظة اخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظماء العقل البشري الى المعرفة . فمهما امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من ياتي بعدنا مسالة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومهما تقدمنا في التعليل عن اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شانه الا ان يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتهجها الفكر البشري وهما العلم والدين

اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط في البحث عن الحوادث الوضعية وعلائقها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطاع اثباته بالادلة الواقعة تحت الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علائقها بعضها ببعض . وينتج عن هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابداً الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار

والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ونشاتها مستقلة بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور الديني ايا كان منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم كل هذا من شانه ان يثبت ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض ويدل على ان هنالك حقيقة اساسية قام عليها بنيان الاديان

حيوان غريب واكتشاف علمي

﴿ الذبابة القاتلة احدى غرائب افريقيا ﴾

(دليل جديد على فساد مذهب داروين)

لا نعني بالذبابة القاتلة الذبابة المألوفة التي تقع على بصاق المسلول ثم تقع على الطعام او على فم الانسان فتنقل اليه جراثيم داء السل او غيره من الامراض المعدية . ولكننا نعني بها ذبابة مختصة بشمالي افريقيا يسمونها تسه تسه كما ورد ذلك في خطبة المسيو هانوتو التي لخصناها في الجزء السابق . ولقد قال المسيو هانوتو عن هذه الذبابة في تلك الخطبة « انها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات »

ولقد عدّ المسيو هانوتو في تلك المقالة هذا الامر في جملة الاسباب التي اخرت تمدين افريقيا الى هذا الزمن . ثم قال « ان العلماء صاروا يجربون مداواة داء هذه الذبابة بالمصل وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تمّ لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردّون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة »

وبينما كنا نتصفح في هذا الشهر وقائع مجمع العلوم في باريز عثرنا على بلاغ بهذا الشان قدمه اليه جناب الدكتور لافران الذي صرف همه الى درس احوال هذه الذبابة لانقاذ افريقيا من شرها . وهذا البلاغ يشير الى اكتشاف علمي خطير من وجهين . ولبيان ذلك نقول .

وصف الدكتور لافران هذه الذبابة في بدء مقاله فقال انها تُدعى باللغة العلمية « كلوسينا مورسيتان » وهي كباقي الذباب التي تعيش في كل مكان . ولذلك لا يعرفها من لا يعرفها . اما جسمها فهو مرقط في بطنها باسمرار وبياض ولكن باقيه اسود او رمادي ضارب الى السواد

ومن طبيعة هذه الذبابة انها اذا رأت انساناً او حيواناً انقضت عليه بسرعة غريبة ولذعته في الموضع الذي يكون مكشوفاً في جسمه . فينشاء عن ذلك في ذلك الموضع جرح صغير او خمش . وهذا الجرح لا تاثير له في الانسان والبغال والحمير والماعز والحيوانات الوحشية التي تعيش في الاماكن التي تعيش فيها هذه الذبابة كحمار الوحش والفيلة وبقر

الوحش وما اشبهها ولكنه ذا تاثير مميت في بعض الحيوانات الاهلية الداجنة كالفرس والكلب والبقر والغنم . فان هذه الحيوانات تموت احياناً موتاً فجائياً بعد انقضاء ٢٤ ساعة على لذع الذبابة لها واحياناً تظهر فيها اعراض الداء ثم تموت بعد ذلك ببضعة ايام . وهنا ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . الاولى حكمة الناموس الطبيعي الذي قضى بان لا يؤثر سم هذه الذبابة في الحيوانات الوحشية التي تعيش معها في واسع البرّ والتي هي معرضة في كل دقيقة وكل ثانية للذعها المميت تعرضاً كان كافياً لفنائها في اسبوع واحد . والثانية ان المسيو هانوتو قد اخطأ في قوله انّ هذه الذبابة تمنع من نقل البضائع على الدواب لانه قد ثبت بالاختبار انها بلا تاثير على البغل والحمار كما تقدم

اما داء هذه الذبابة فانه ينشأ عن مادة سامة تدخلها الذبابة الى جسم الحيوان الملذوع حين لذعها اياه . وهي عبارة عن جراثيم او ميكروبات تحدث تسمماً في الجسم . واهم اعراض هذا الداء رشح سائل من عيون الحيوانات بعد لذع الذبابة اياها وانتصاب شعرها وانتفاخ بطونها وفكوكها وضمورها وضعفها ضعفاً عاماً ينتهي بالموت .

بقي دواء هذا الداء الذي يتمنى المسيو هانوتو اكتشافه انقاذاً لنصف افريقيا من شر عظيم كما قال . فنقول ان الدكتور لافران قد ابلغ مجمع العلوم في البلاغ الذي تقدمت الاشارة اليه انه اكتشف دواء هذا الداء . ولكن دواءه داء آخر يصيب الانسان . فكأنّ هذا الاكتشاف عبارة عن نفع الحيوان بضرر الانسان . ولا غرابة في ذلك فانه قد مرّت قرون واجيال عديدة والحيوان يخدم فيها الانسان بتعبه ولحمه ودمه . فهل كثير بعد هذا ان يخدم الانسان مرة من المرات رفيقه الحيوان

وبيان ذلك ان الدكتور لافران وجد انه اذا حُقن الحيوان الذي لذعته تلك الذبابة بمصل مستخرج من « دم الانسان » فان الداء يضعف بضعف جراثيمه في دم الحيوان المصاب لان هذه الجراثيم تموت في دم الانسان . وقد جرّب الدكتور هذا الامر في عدة حيوانات ملذوعة فتحسنت حالتها سريعاً وشفيت . ولكنه كان اذا احمى دم الانسان الى درجة ٥٢ وحقن به الحيوان المصاب فقدَ هذا الدم مزية قتل جراثيم الداء في جسم الملذوع . واذا ابلغ حرارته الى ٦٢ درجة فلّ تاثيره ايضاً

وبناء على ذلك يكون دم الانسان الدواء الشافي من هذا الداء

ولكن كيف يحلُّ استخراج دم الانسان لمداواة هذا الداء به . وهب انه امكننا استخراج شيء منه لحقن الحيوانات الصغيرة فمن اين لنا بمقادير كافية لحقن الحيوات الكبيرة .

هنا نقطة الخلاف وموضع النظر

ومن اجل ذلك رام الدكتور استبدال دم الانسان بدم آخر فجرب دم الحمار والبغل والماعز وغيرها من الحيوانات التي لا يؤثر لذع الذبابة فيها فلم تنفع التجربة . فخطر له حينئذ خاطر ملاءه املاً . وهو انه ذكر ان انصار داروين يقولون ان الانسان قد ارتقى عن القرود اي انه كان من قبل بهيئة القرود وبشكلها او بهيئة قرود ارقى من القرود الموجودة اليوم ثم ارتقى على ممر القرون والاجيال وصار الى ما هو عليه الآن . فقال هذا الدكتور في نفسه : اذا كان هذا الامر صحيحاً فلا بدَّ ان يكون لدم القرد خواص دم الانسان لانهما من اصل واحد . ولذلك جاء بدم القرد وجربه في مداواة الحيوانات الملذوعة فلم تنفع التجربة . فقال الدكتور حينئذ : انني رميت بحجر فاصبت غرضين . فانه لا ريب ان هذا دليل من اقوى الادلة على ان الانسان لم يشتق من الحيوان

النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا ﴾

(الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة)

قلنا في الجزء السابق انه قد انهالت علينا رسائل القراء من كل صوب جواباً عن الاسئلة التي القيناها عليهم في الجزء السادس . ولقد كان في النية ان ننشر هذه الرسائل كلها كما ذكرنا ذلك في حينه للدلالة على ما يرتئيه الشرقيون في الصحافة الشرقية خصوصاً لان في هذه الآراء عجائب وغرائب . غير اننا عدلنا عن ذلك اضطراراً لكثرة هذه الرسائل كثرة يضيق عنها حجم جزئين من الجامعة او اكثر . ولذلك رأينا ان ننشر منها ما قلَّ ودلَّ ملتمسين العذر من حضرات المراسلين الافاضل وشاكرين لهم اشتراكهم مع المجلة في هذا البحث المهم . وفي يقيننا ان رصفاءنا الكرام ارباب الصحافة العربية لا ينظرون الى هذا البحث بنظر الاهتمام فقط بل هم ينظرون اليه نظر الفكاهة ايضاً ولذلك لا نشك في انهم يغتفرون لبعض المراسلين اذا رأوا في بعض اقوالهم ما لا يسرُّ . ومما يوجب هذا الاغتفار ايضاً ان حضرات المراسلين هم نخبة من افاضل الجمهور وادبائه . ومن المعلوم ان الصحافة للجمهور وهو سيدها وصاحب الراي المحترم فيها كما يعترف بذلك الصحافيون انفسهم

حاجات الصحافة

ونبدأ اولاً بالاجوبة الشعرية لان للشعر حق التقدم . فمن ذلك قصيدة يذكر صاحبها حاجات الصحافة وهو من الشعراء المجيدين الذين ينثرون شعرهم في كل مجلة وجريدة كما ينثر الزهر في الرياض وينظمون الشعر لذاته وللذاته لا لامر آخر . قال

سألتَ وربما سال العليمُ ... وشاور غيره الرجل الحكيمُ
سالتَ عن الصحافة كيف امست ... فقلت اصابها خطر عظيمُ
وما ادري وليس سواي يدري ... اتسقط بعد ذلك ام تقومُ
هي الفوضى فقل ما شئت فيها ... يصدق قولك الذوق السليمُ

لقد غدت الصحافة وهي حيرى ... يضلّ سراتها ليلٌ بهيمُ
واعوز اهلها علم ومالٌ ... وراي يستضاء به قويمُ
وشعب لا ينام عن المعالي ... ولا يُرضيه ذو الكسل النؤومُ
وحكام يرون العلم فخرًا ... فما تشقى بجهلهم العلوم

الدلنجات (احمد محرم)

الصحافة ورثاء الشرق

واما القصيدة التالية في « الصحافة ورثاء الشرق » فهي جواب شاعر في زهرة الشباب . وفي يقيننا انه اذا انقطع الى الدرس المفيد وفكّ نفسه من التقليد فانه لا يبلغ الثلاثين او الاربعين الا وهو في مقدمة شعراء المتاخرين . ولا غرو فانه من نبعة رافعية . قال

ما احتاج هذا الشرق للقائلِ ... بمثل ما يحتاج للفاعلِ
وما الذي نسمع من اهله ... يبلغ منه مبلغ العامل
كم ملأوا الافق بصيحاتهم ... وطاولوا النجم بلاطائل
وسيّروا صحفًا بعضها ... عن بعضها في شغلٍ شاغل
تحتشد الاقلام فيها كما ... يختلط الحابل بالنابل
ويجتمع الحق الى خصمه ... وليتها تقضي على الباطل
وهي وان لم تك من لوءلوء ... حلية ذاك الاجيد العاطل
انشدها الله وميثاقه ... ان تنصف الجد من الهازل
وترفع العلم واينائه ... وترفع الجهل عن الجاهل

وتوقظ الخامل من نومه فكم بهذا الشرق من خامل
وتذكر الغرب وآياته وتضرب الامثال للغافل
اتى همى القطر على ارضنا مبشرًا بالعارض الهاطل
ورنحت اعطافنا هزة كما يدب الخصب في الماحل
تصقل عضب الشرق من بعدما قد كان لا يحتاج للصاقل
ما الذنب للعضب اذا مانبا وانما الذنب على الحامل
ياعصبة الشرق اما انتمُ ابناء ذاك السلف الباسل
ان يزل الظل فلا تيئسوا نفيئوا ظلاً سوى الزائل
لا يبراء المذنب ان يعتذر عن ذنبه بالقدر النازل
فانصفوا ناصحكم واسمعوا وانصتوا للقول والقائل
شبين الكوم (مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي)

وبقيت بعض قصائد طويلة ضاق عنها المجال فالمرجو المعذرة من حضرات اصحابها الافاضل

تلخيص بعض الرسائل

وهنا ننتقل الى النثر فنلخص بعض الرسائل التي اخترناها للنشر ونرجو المعذرة من اصحاب الرسائل التي ضربنا صفحًا عنها لان المجال ضيق دونها

ونبدأ اولاً برسالة لحضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصوره ولا ريب ان حضرات القراء في مصر وخارج مصر قد سمعوا بشهرة الدكتور خوري في عالم الادب . قال جناب الدكتور : « ان الصحافة معذورة واسباب عذرها كثيرة يطول شرحها ولا يفيد التنبيه اليها لان الداء دفين ومضعفات العلة اشدّ خطرًا من العلة نفسها . وما الحيلة باستبداد الحكومة وذل الشعب وفقر العامل وجهله حالتي الحاكم والمحكوم وواجباتهما . واما النهضة فهي ولا شك كائنة و باكثر من المامول وهي في كل يوم بازدياد واسبابها « المهاجرة » لا المجاهرة »

ومنها رسالة توقيعها « محفوط » والصحيح انه « حافظ » لا محفوظ . وهي عبارة عن كتاب مفتوح لجناب نجيب افندي الجاويش صاحب الراي الشديد على الكتّاب وعلى الصحافة الذي نُشر في الجزء السادس . وقد استهلّ الكاتب « محفوظ » كتابه بقوله يخاطب رصيفه جناب نجيب افندي « اكتب اليك ولا علمَ لي بك والذي حركني لذلك معانٍ

لاحت لي من خلال سطورك رغماً عن لسان مسكته وقلم قيدته مخافة ان يكون كحزقيال يخاطب عظاماً يابسة » ثم يسهب الكاتب في بيان واجبات الكتاب والصحافة فيقول « ومما يقال في الجرائد عموماً وفي السورية منها خصوصاً انها تنطق بلسان الحاكم ويحررها قلم المامور مشحونة بالمدح الفارغ مما تقتضيه اغراض منشئيها » وبعد ذلك يهدي الى الشرقيين اربع نصائح رابعتها « العمل بما جاء في الجامعة في الجزء الخامس من هذه السنة الصفحة ٦٤ من رواية فريسة الاسد السطر ٢ و ٣ و ٤ » ثم يختم الكاتب رسالته الطويلة الى رفيقه بقوله « هذا ما ارتأيته كتبته اليك على سبيل الاختصار فاهبط عليّ بافكارك والا اسودعك الله الى وقت آخر يجمعنا به ذلك الرجل » فلا عجب اذا لم يفهم القارىء شيئاً من هذا الختام

وهنالك رسالة من اسيوط لكاتبها جناب عزيز افندي السايح وقد جاء فيها ما يأتي « لو جُمعت مادة وزبدة الجرائد العربية جميعها لامكن ادراجها في جريدة او جريدتين بالاكثر لان اكثر ما تاتيه الصحف هو مدح في زيد وهجو في عبيد واحتفل بقران فلان وبجناز فلان ولولا الجرائد الافرنجية التي يترجم عنها اكثر مواد الجرائد العربية لانعدمت وصارت فارغة » ثم قال « وعندي ان الجرائد لا تقوم بواجباتها حق قيام الا اذا غضت الطرف عن وجاهة الواحد وحقارة الآخر وجعلت الصدق في اقوالها والحق في اعمالها من اعظم مبادئها وعدم المحاباة من اهم اركانها . اما الاعتقاد بوجود نهضة ادبية فلا اظنه انه خطر بالبال »

واليك رسالة من القرشية لصاحبها جناب اسماعيل افندي يسري قال فيها : « ان الذي يمعن النظر في احوال الجرائد والمجلات العربية وخصوصاً في مصر لا يؤمل ان يجني من ثمرها اصلاحاً بل يتاكد ان بعضها طاعون الافكار والقليل الحسن منها لا يكفي لترقية شؤون امة عددها ١٢ مليون نفس تقريباً »

واما الرسالة التالية فهي من رام الله قرب القدس لكاتبها جناب فرج افندي فرج الله وقد جاء فيها « ان الصحافة عندنا قد تجاوزت دور الطفولية الى الشباب . واني لا انكر ان في الشرق حركة جديدة ولكنها لم تصر بعد نهضة على الاقدام ولعلها لا تصير كذلك اذا بقي الحال كما هو . ذلك لان الشرقيين كرضيع احس بالجوع وبوجود الاكل قريباً منه ففغر فاه ليلتقم بجهله كل ما تصيبه شفتاه من نافع ومضر . والنصيحة لهم لينهضوا ويحسنوا القيام ان يربوا ويعلّموا منذ الصغر ان يحسنوا التمييز بين النافع والمضر »

والرسالة التالية من بسيون لكاتبها حضرة ي · س احد القراء وفيها « الجرائد همها مصروف في احوال البلاد السياسية من رفع وخفض ومدح وذم · ويحملها على ذلك سعة الورق مع قلة المادة وضيق الوقت وقد لا يكتفي البعض بذلك فيضيف الى جريدته ذيلاً يستحق القطع » ثم شدد الكاتب النكير على المقلدين والمقلدات « لان الشرقي يقلد بغير علم ولا حساب ولو علم ان الثوب المستعار لا يدفىء لطرح التقليد جانباً »

اما صاحب الرسالة التالية وهو جناب محمد شمس الدين افندي الصحن في الثغر فقد احصى المال الذي يدخل على الصحافة من الجمهور في مصر فبلغ في احصائه ٤٠ الف جنيه · فقال : « تحسن حالة الجرائد اذا تركت مدح زيد وذم عمرو لاغراضها وان لا تكتب الا فيما يعود على البلاد بالنفع والفائدة · وحينئذ تستحق الـ ٤٠ الف جنيه التي تاخذها من الامة »

وقال جناب احمد افندي حافظ بالبوسطة في الثغر في ضمن رسالته « الجرائد العربية الموجودة في الشرق مفيدة ولكنها تكثر الاطالة في مواضيع احياناً لا تفيد الشعب بشيء ولا تعود عليه بالنفع المطلوب لارتقائه »

واما الرسالة التالية فهي من جناب خليل افندي ديراني في دمشق الشام وفيها « الاعتقاد بالنهضة الادبية هو بين بين لانها كالبيت المبني على الرمال تتهدده الاخطار وما ذلك الا من عدم مجراها في مجاريها واتباعها قوانينها · وما دامت على هذه الحال فان الزوابع تذريها ما لم تؤسس على صخر العلم بالعمل والتربية على الفضيلة والآداب »

وقال جناب جرجي افندي نقولا باز في بيروت « يوجد في بعض ممالك الشرق نهضة ادبية حقيقية اكثر مما هي وهمية · ويحتاج الشرق والشرقيون الى العلم الحقيقي العملي »

ومن رسالة لجناب ابرهيم افندي ابرهيم « نصيحتي للشرق والشرقيين ان يتحدوا بالوطنية ويتعلموا الاستقلال ويعاملوا بعضهم بعضاً معاملة الاخاء والمساواة وان ينبذوا التعصب الديني والعادات والاراء الضارة التي ورثوها عن الآباء والاجداد »

قول بليغ في النهضة

بقي ان ننشر رسالتين الاولى « لاحد الكتاب » المطلعين · وهذا نصها من غير اختصار

« انني من الذين يعتقدون بوجود نهضة ادبية في الشرق ومن الذين لا يعتقدون بوجود هذه النهضة · وايضاحاً لهذا القول اقول

« اذا كان معنى « النهضة » نهوض الكتاب الى الكتابة فهذه النهضة موجودة لان

المجلات والجرائد والكتب تتناثر على القراء تناثر ورق الخريف . واذا كان معنى النهضة حدوث تقدم في الشرق ادبياً ومادياً فهذا امر ثابت لا ينكره احد وانما الخلاف في هل ان هذا التقدم متبع سيرًا تدريجياً ينتهي الى كماله ام لا . واما اذا كان معنى النهضة ان المؤلفات التي تُنشر الآن هي دليل على ارتقاء العلم والادب في الشرق ارتقاء حقيقياً مبنياً على اساس وطيد لا يُخشى عليه في المستقبل فهذا قول فيه نظر

« وبيان ذلك ان في ازمان النهضات العلمية والادبية في العالم ينبغ رجال من اهل العلم والادب يكونون كاساس للنهضة في بلادهم وتكون كتبهم ومؤلفاتهم بالغة من الكمال العلمي والادبي درجة لا يتجاوزها الذين ياتون بعدهم مما ابتكروا وابتدعوا . ففي النهضة الانكليزية قام باكون وشكسبير وغرين وبيل وغيرهم كما ذكرته الجامعة في ترجمة شكسبير وفي النهضة الفرنسوية قام كورنيل وراسين وموليير وبوالو ولافوازيه وديكارت وفولتير وروسو . وكتب هؤلاء المؤلفين لا تزال في دور الشباب الى الآن كانها كُتبتْ منذ عامين . فهل عندنا من الكتب والجرائد والمجلات ما يستحق ان يحيى الى ما بعد نصف قرن ويكون مرجعاً لاحفادنا بعدنا . هذا امر اشك فيه كل الشك

« ومما لا يحتاج الى بيان انني قلتُ « نهضة ادبية » كما قالت الجامعة ولم اقل « نهضة علمية » اذ لا خلاف قطعياً في انه لا اثر للنهضة العلمية في بلادنا لان العلم الصحيح يجب ان يكون مبنياً على الدرس العملي كالمشاهدة والتجربة والاختبار لا على الاخذ عن علماء الافرنج . مثال ذلك ان من رام كتابة تاريخ الفرس يجب ان يزور مملكتهم ويستقصي آثارهم ويدرس عاداتهم واخلاقهم في نفس بلادهم لا في غرفة التحرير . ومن رام الكتابة في طبائع النحل يجب ان يكون قد ربى نحلاً وراقب معيشتها مراقبة دقيقة سنوات عديدة . وهلم جرًا

« ولست اعني بذلك ان اللوم واقع على المشتغلين بالعلم والادب وحدهم فان « الطفرة محال » كما قال كاتب يحسبه بعض الكتاب من زعماء النهضة الادبية . وذلك لان هذا التقليد لا بدَّ منه في بدء الامر ولا ياتي الابتكار والابتداع الا في دور ثانٍ . ولكن اللوم اكثره واقع على الاغنياء والجمهور والحكام الذين لا يساعدون الكتاب والعلماء عندنا مساعدة تمكنهم من التفرغ للدرس العملي والانقطاع لفروع العلوم التي يشتغلون بها وهو ما يسميه العرب « الاخصاء » على ما اظن . ومعنى ذلك ان المستعد بفطرته للبحث في الفلسفة ينقطع اليها دون سواها . والمستعد بطبيعته للجيولوجيا يتفرغ اليها وحدها . والمهيأ

للتاريخ لا يشتغل بسواه . والذي خُلق لدرس المسائل السياسية لا يتعداها. فمتى توزّعت فروع العلوم هكذا على الكتاب والمشتغلين بالعلم امكنهم ان يصلوا في فنهم الى درجة الابتكار وارتقت النهضة في الشرق ارتقاء عظيماً . واما اذا اقاموا كما هم الآن اي ان كل واحد منهم يكتب في كل فروع المنقول والمعقول ارضاء للقراء فالنهضة تبقى سطحية اذ ليس لاصحابها من وقت ولا وسيلة للوصول الى الاعماق »

اولى حاجات الشرق

والرسالة الثانية « لاديب » فاضل ينظر الى هذه المسالة من جهة اخرى وهذا نصها

« اولى حاجات الشرق وصحافته وحكامه واهله كبارهم وصغارهم كلمة واحدة وهي «الاخلاق» وهذا نقص ظاهر في كل شيء فيه تقريباً . فاذا كانت الاخلاق شريفة في كل عمل ادبي او مادي كان ذلك بمثابة هواء نقي يستنشقه الانسان و يعيش منه واذا كانت فاسدة فسد كل شيء بفسادها . فالحاكم اذا كان شريف الاخلاق وقف قواه لخدمة الجمهور فكان في ذلك غنى عن كل نظام ودستور . والناس اذا كانوا كرام الاخلاق جعلوا الارض مسكناً للملائكة كالسماء وكانت معيشتهم كلها هناء في هناء . والصحافة اذا كان جميع اصحابها اصحاب اخلاق لم يعد ينقصها شيء من الاشياء . فانها حينئذ تترك التمليق والرياء . والمدح والثناء . وتقدم مصلحة الجمهور حقيقةً على كل مصلحة . فلا تعود ترى فيها ما تراه فيها من تكبير الصغير وتصغير الكبير في مقابلة بضعة من الدراهم والدنانير . ولا تعود ترى اثراً لعداوة الصناعة التي تجعلها تدوس المبادىء وتغض من كرامة رصيفاتها لتجر بذلك مغنماً لذاتها . فالاخلاق الاخلاق : هذه هي حاجتنا الكبرى

«ومتى ترأست الاخلاق الصحافة في الشرق اطلقت فيها الحرية للنقد الصحيح اذ يكون الغرض منها اعلاء شأن الشيء الحسن المفيد واسقاط شأن الشيء الرديء . وحينئذ يوضع كل شيء في موضعه فيقبل القراء على الحسن و يتركون الرديء الضعيف طبقاً لناموس الارتقاء . وليس يُخشى على هذا الناموس ان يبطل فيما يختص بالصحافة الشرقية لان النواميس الطبيعية لا يقف شيء في طريقها . وانما يُخشى ان تعيقه حالة الصحافة الحاضرة مدة من الزمان . اما اذا نزهت الاخلاق هذه الصحافة واعطت كل شيء حقه بقسط وعدل فان هذا الناموس يجري في مجراه و يصل الى غرضه في وقت قريب»

هذا ما اضطررنا الى الاكتفاء بنشره لضيق المقام . ونحن ناسف لاننا لم ننشر اقوال رصيفاتنا التي شاركتنا على صفحاتها في هذا البحث . وبما اننا قد اقفلنا هذا الباب في هذا الجزء فسننشر في الجزء التالي المواد التي يجب استخراجها من اقوال حضرات المراسلين كما ذكرنا في ما تقدم

والذي سرنا في هذا الموضوع ايضاً وقوفنا على آراء حضرات القراء في مجلتهم وقد استفدنا شيئاً كثيراً من نصائحهم بشانها كما انه قد سرنا رضاهم عن خطتها وقدرهم التعب الذي نبذله فيها حق قدره . وفقنا الله واياهم الى ما فيه النفع العام وهو حسبنا ونعم الوكيل

عود الى ابن رشد

لما هممنا بكتابة ترجمة فيلسوف الاسلام ابي الوليد ابن رشد المنشورة في صدر هذا الجزء اخذنا في مطالعة بعض كتبه وما كتبه العرب والافرنج عنه . وبما ان الفيلسوف رنان قد الف كتاباً ضخماً (١) عن ابن رشد وتاريخه ومبادئه فقد بعثنا نطلب هذا الكتاب لنستعين به ايضاً . فلما وردنا هذا الكتاب ظهر لنا من مطالعته انه جدير بالنقل والتلخيص لاشتماله على تاريخ الفلسفة في ذلك الزمن وتاريخ انتقال صولجان المجد والعلم والمدنية من عرب الاندلس الى الاوربيين وهو الحادث العظيم في التاريخ الانساني . ولذلك عزمنا على تلخيصه في الجامعة ايضاً . ولا ريب عندنا ان القراء يجدون في هذه الخلاصة من الاقوال الفلسفية الرنانية والاستنتاجات المفيدة والتصورات الغزليـة الجميلة ما تعودوه في اقوال رنان

ولقد نشر رنان في ذيل كتابه هذا صفحات باللغة العربية لعدة من مؤلفي الاندلس الذين ذكروا ترجمة ابن رشد كابن العبـار والانصاري وابن ابي اصيبعة والذهبي . وقد راينا ان نلخص شيئاً من هذه الاقوال لانها لم ترد في الترجمة التي نشرناها في صدر هذا الجزء فضلاً عن انها منقولة عن كتب محفوظة في مكاتب اوربا الكبرى التي اخذها رنان منها

(١) عدد صفحاته ٤٨٦ صفحة بحجم الجامعة

شهادة ابن العبار

قال ابن العبار كانت الدراية في ابن رشد اغلب عليه من الرواية ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً . وقد عُني بالعلم من صغره الى كبره حتى حكي عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه وليلة عرسه . وقد سوَّد في ما صنف وقيَّد والف وهذب واختصر نحواً من عشرة الاف ورقة . وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه . وقد حكى عنه ابو القاسم بن الطيلسان انه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبي ويكثر التمثل بهما في مجلسه

شهادة الانصاري . والمنشور الذي نشره الخليفة بخروج فلسفة ابن رشد

اما ما نقله رنان عن الانصاري ففيه منشور في غاية الاهمية وقد وجه اليه رنان في مقدمة الكتاب نظر المستشرقين . وهذا المنشور هو نسخة الرسالة التي نشرها المنصور في الاندلس ومراكش يحذر الناس فيها من مبادىء ابن رشد وتلامذته . وقد كتب هذا المنشور كاتب المنصور ابو عبدالله بن عياش . ومما جاء فيه قوله « لما اراد الله فضيحة عمايتهم . وكشف غوايتهم . وُقف لبعضهم على كتبٍ مسطورة في الضلال . موجبة اخذ كتاب صاحبها بالشمال . ظاهرها موشح بكتاب الله . وباطنها مصرح بالاعراض عن الله . لُبس منها الايمان بالظلم . وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم . مزلة للاقدام . وهُم يدب في باطن الاسلام » وايضاً « فانهم يوافقون الامة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم . ويخالفونها بباطنهم وغيهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين . ونكتة سوداء في صفحة النور المبين . نبذناهم في الله نبذ النواة . واقصيناهم كما يُقصى السفهاء من الغواة » وايضاً « فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان . حذركم من السموم السارية في الابدان . ومن عُثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يُعذب اربابه . واليها يكون مآل موءلفه وقارئه ومآبه . والله تعالى يُطهر من دنس الملحدين اجتماعكم . ويكتب في صحائف الابرار تضافركم على الحق واجتماعكم انه منعم كريم » اه

وقد اشار الانصاري الى محاكمة ابن رشد لدى علماء قرطبة في جامعها الكبير فقال « وقد قُرئت (فلسفة ابن رشد) بالمجلس وتدولت (١) اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها

(١) ان رنان يصحح هذه الكلمة في حاشية الكتاب فيجعلها « تداولت » والصحيح « تُدولت » بناء على المجهول لانها معطوفة على « قُرئت » على انه صحح في الاصل العربي في مواضع اخرى عدة اغلاط ناشئة عن خطاء في النسخ فكان مصيباً في تصحيحه كل الاصابة

فخرجت بما دلت عليه اسواء مخرج وربما ذيلها « مكر الطالبين » فلم يمكن عند اجتماع الملاء الا المدافعة عن شريعة الاسلام » وعند الاجتماع تكلم القاضي ابو عبد الله بن مروان فكانه رام تخفيف التهمة فقال ما معناه « ان الاشياء لا بدّ في كثير منها ان تكون له جهة نافعة وجهة ضارة كالنار وغيرها فمتى غلب النافع على الضار عُمل بحسبه ومتى كان الامر بالضد فالبضد . فابتدر الكلام الخطيب ابو علي بن حجاج وعرّف الناس بما « أُمر به » من انهم مرقوا من الدين » ثم امرّ ابو الوليد بسكتي اليسانه (ليسنه) وكان اكثر اهلها من اليهود . وقد قال الانصاري انه أُمر بسكناها « اقول من قال انه يُنسب في بني اسرائيل . وانه لا يعرف له نسبة في قبائل الاندلس »

وروى الانصاري ان من اسباب نكبة ابن رشد « اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة » ومنها ايضاً انه كتب في كتاب الحيوان « ورايت الزرافة عند ملك البربر » يعني الخليفة المنصور ملك العرب لان اليونان كانوا يلقبون العرب كذلك . فلما بلغ المنصور هذا القول من حساد ابن رشد ساله عنه فاجابه انني كتبت « ملك البربر » فقرأوا ملك البربر . فاسرها المنصور في نفسه

ومن ذلك ما حدث به الشيخ ابو الحسن الرعيني عن شيخه ابي محمد عبد الكبير . قال عن اتهام الناس ابن رشد بالالحاد « ان هذا الذي يُنسب اليه ما كان يظهر عليه . ولقد كنت اراه يخرج الى الصلوة واثر ماء الوضوء على قدميه وما كدت آخذ عليه فلتة الا واحدة وهي عظمى الفلتات » وبيان هذه الفلتة انه شاع في المشرق والاندلس ان ريحاً عاتية تهب في يوم كذا وكذا فتهلك الناس . وقد طبق هذا الحديث البلاد فجمع والي قرطبة طلبتها وعلماءها وفيهم ابن رشد وهو القاضي بقرطبة يومئذ ليسالهم عن ذلك . ولما انصرف الطلبة تكلم ابن رشد وابن بندود في شان هذه الريح من جهة الطبيعة قال الانصاري . « فقال ابو محمد الكبير : ان صحّ امر هذه الريح فهي ثانية الريح التي اهلك الله تعالى بها قوم عاد اذ لم تُعلم ريح بعدُ يعم هلاكها . فانبرى (١) ابن رشد ولم يتمالك ان قال : والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم . فسقط في ايدي الحاضرين واكبروا هذه الزلة التي لا تصدر الا عن صريح الكفر والتكذيب لما جاءت به آيات القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »

---

(١) في الاصل « فانبدى » ولعل رنان لم ينتبه اليها او انها خطاء مطبعي

وقد نقل الانصاري ابياتاً كثيرة في ذم ابن رشد منها قول الحاج ابي الحسين بن جبير

الآن قد ايقن ابن رشد ان تواليفه توالف
ياظالماً نفسه تامل هل تجد اليوم مَن تُوالف

وله ايضاً

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك

شهادة ابن ابي اصيبعة

اما ابن ابي اصيبعه فانه يقول عنه انه اوحد في علم الفقه والخلاف . وانه كان ذكياً رث البزة قوي النفس . وانه « متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه او بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي ؟ » وكان الخليفة المنصور يستاء من ذلك في سره . وقد قال ابن ابي اصيبعة ايضاً « وخلف (ابن رشد) ولداً طبيباً عالماً بالصناعة يقال له ابو محمد عبدالله وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور . ومن كلام ابي الوليد بن رشد : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله تعالى » ثم احصى مؤلفاته في صفحتين ونصف وقد اشرنا اليها

هذا ما راينا ضمه في هذا الفصل الى ترجمته في صدر الجزء لتتم الفائدة . وقد نشرناه هنا لان هذا الكتاب وردنا بعد طبع باب المشاهير

﴿ تقرير المتحف والمكتبة البلدية ﴾ وضع جناب الدكتور بوتي مدير المتحف في الثغر تقريراً عن المتحف والمكتبة البلدية في السنة الماضية ورفعه الى جناب رئيس لجنة المتحف والمكتبة . وقد اهدتنا اللجنة نسخة منه فاذا به يشتمل على ما جدّ في تلك السنة من نبش الآثار القديمة في كوم الشقافة وغيرها . ويؤخذ منه ان معدل الداخلين الى المكتبة البلدية ٢٨ شخصاً في كل يوم على اننا نرجح انه لو كانت المكتبة في مكان قرب المنشية لما نقص هذا المعدل عن مائة شخص في كل يوم . فعسى ان لا يبطىء المجلس البلدي في انشاء بنائه الجديد على الرصيف الشرقي لينقل المكتبة اليه وبذلك يحقق اماني محبي المطالعة في الثغر